مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 18 العدد01 2022/01/15

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

# دراسة أنثروبولوجية للعلاقة بين المريد والشيخ من خلال مقطوعات القول

## شخصية الشيخ عبد القادر بن محمد بمنطقة الأبيض سيد الشيخ – نموذجاً –

# The anthropology of the relationship between the disciple and the sheikh through the passages of al goul the character of sheikh abdul Qadir ben muhammed in al abyadh region – as a model -

مهداوي الدين*

المركز الجامعي نور البشير – البيض –

n.edine01@hotmail.fr

تاريخ الاستلام: 2020/11/14 تاريخ القبول: 2020/12/04

**ملخص:**

ضع المجتمع الجزائري مجتمع متدين بطبعه، فمنذ أن وصل الإسلام إلى منطقة المغرب العربي أصبح الإسلام هو الديانة الوحيدة لأهل المغرب عربهم وأمازيغهم، والمذهب الفقهي السائد بالمنطقة هو المذهب المالكي السني إلا قليلا. كما أن المجتمع الجزائري ذو نزعة صوفية، يقدّس أولياء الله الصالحين ولا ينفك عن ذكرهم والتبرك بهم وزيارتهم وتنظيم زيارات منظمة تشبه إلى حدّ كبير الحج إلى البقاع المقدسة (كركب سيدي الشيخ مثلا)، وقد بلغ شدة الاعتقاد بهم وبكراماتهم إلى درجة الالتجاء إليهم في قضاء الحوائج وجلب المنافع ودفع المضار،ويعكس التراث اللامادي بكل أشكاله بمطقة الأبيض سيد الشيخ تمسك المجتمع الجزائري بدينه. حيث تعج القصائد الشعرية بذكر الطقوس الدينية من حج وصوم وصلاة، وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلّم.وما أكثر قصائد الملحون في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ومدح الأولياء الصالحين. وأكثر ما تضمنته مقطوعات "القول"في منطقة االأبيض سيد الشيخ ، ذكر للأولياء الصالحين المعروفين بالمنطقة كسيدي الشيخ وبحوص الحاج ، وسيدي بوجمعة، ، وسيدي سليمان بوسماحة، وغيرهم كثير .

**الكلمات المفتاحية** : قول –أولياء صالحين – تراث – تعابير شعبية

**Abstract:**

Enter The Algerian society is known to be a religious society by nature. Since the Islamic conquests in the region of Maghreb, Islam has become the only religion for the people of Maghreb, both Arabs and Berbers. The predominant fiqh

*المؤلف المرسل: مهداوي الدين، الايميل: n.edine01@hotmail.fr

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

doctrine in the region is the Sunni Maliki. A tiny minority may be excepted.The Algerian society has a mystical soufite tendency which is clearly illustrated in the saints of God . People do not cease to mention them in their daily discourse , prey for them, visit their tombs, and organize organized visits to their mausoleums. That closely resembles the pilgrimage to the holy places. Such act is called waada. (Sid Sheikh are clear examples.) The belief in the saints of God and their dignity has reached the point of resorting to them to fulfill needs, bring benediction and keep harm away. In all its forms, the intangible heritage in El-Abiod Sid El Sheikh reflects the commitment of the Algerian society to its religion. The poems are full of verses mentioning religious rituals, such as Hajj, fasting, prayer, and prayers upon the Prophet, PUBH. Most poems praise the Prophet. That's the main reason for which most of poems "Al-gawl" (Saying ) in Al-Abiod region mentioned the saints known in the region such as Sidi Sheikh, Bahous Al-Hajj, , and many others.
**Key words**: Saying - Saints – Heritag- popular expressions

**مقدمة:**

يجب تزخر ولاية البيض كغيرها من ولايات الوطن بميراث ثقافي مادي ولا مادي، أسهم في تجذير الهويةالوطنية والمفاخرة بها أمام الثقافات والحضارات الأخرى، وهذا التراث المنبثق من العمق الديني استطاع أن يحافظ على بقائه في صدور الجدات والأمهات حتى انتقل إلى الأجيال اللاحقة، وهو لا يزال يلقى بالرغم من ضغوط العولمة وآثارها، الكثير من الأعجاب من طرف محبي التراث الشعبي، كما أنه أصبح يلقى الكثير من الاهتمام من لدن الباحثين الانثروبولوجيين والاجتماعيين بل وحتى اللسانيين، الذين يتخذون من التراث اللامادي مدونة للبحث والدراسة. فالتراث الشعبي هو من أهم مصادر الدراسات الاجتماعية والثقافية القديمة.المرتبطة بالجذور الدينية والقيم الأخلاقية إلا أنه بالرغم من هذه الأهمية تبقى منظومات "القول" وهي وجه من أوجه هذا الموروث بحاجة اليوم أكثر من أي وقت مضى إلى مزيد الاهتمام من طرف الباحثين فيه بغرض دراسة مضامينه وأشكاله وتصنيفه، قصد إبرازه وتشجيع المهتمين به فالمتأمل في هذه المقاطع "القولية " والتي نعرض بعض نماذج منها في بحثنا هذا ، يلمس من الوهلة الأولى ثراءه بالحمولات الاجتماعية والحمولات التاريخية والدينية كونه يعكس فعلا واقع الإنسان البيضي في حياته الاجتماعية والتاريخية ومعتقداته ومدى تمسكه بدينه. كما يجدر بالباحث أن يميز شكله عن باقي الأشكال التعابير الشعبية التراثية الأخرى كالشعر الملحون والأمثال والأقوال المأثورة ،

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

وغيرها. خصوصاً ما تعلق منها بأولياء الله الصالحين والنموذج الذي نتطرق إلى جانب منه في بحثنا يرتبط بمؤسس الطريقة الشيخية الشيخ سيدي عبد القادر بن محمد الذي ملك قلوب مريديه وأصبحت المقطوعات "الڤولية " تعكس علاقة الهيام والتعلق الطاهر ما بين مريديه وبخاصة النسوة وتجسيد ذلك من خلال التعابير المتاحة ولذا فإني أعتقد أنه يتحتم علينا كباحثين أن نخضع "الڤول" إلى الدراسة والبحث، ولتكن الخطوة الأولى في ذلك جمعه من أفواه "الڤوالين " "ثم العمل على تصنيفه وفق أشكال وأنماط مختلفة، تمهيدا لاستخراج مضامينه. وتأتي مساهمتي هذه بهدف التعريف بمقطوعات ""الڤول" " بإعتباره أحد مظاهر التعبير الشعبي، وهو من أهم موروث شفهي تزخر به منطقة الأبيض سيد الشيخ

**المبحث الأول :**

**أولاً: تعريف " "الڤول" " بمنطقة الأبيض سيد الشيخ وتحديد خصائصه :**

**1- التعريف بـ "الڤول"**

"الڤول" مصطلح شعبي عربي مشتق من لفظ "قال" الفصيحة،ونعني تلك الأغاني التراثية والشعبية المحلية، ويقال له أيضا "التريميد"(لم أعثر على دليل لغوي لإشتقاق هذه الكلمة )، وهو عبارة عن كلمات وعبارات لها مضامين معينةتقولها النساء بشكل خاص ، ،وتؤدّى في شكل غناء في مناسبات؛ كالأعراس،أو عند ختان الاطفال والاحتفالات المختلفة، أو في استقبال أحد الأعيان كشكل من أشكال الاحتفاء به. وهو متقتصر على النساء اللواتي يجتمعن ويرددنه في شكل غناء وبشكل جماعي، ويستعملن في أدائه آلة"الطبل" الموسيقية، أو ما يسمى بـ"البندير"، ليضفي عليه إيقاعا معينا، ومع مرور الزمن ودخول العادات الجديدة المحدثة عرف بعض التطور في شكله وفناياته حيث أصبح يؤديه الرجال في حدود جد صيقة ، وقد يحدث أن يتخلص في بعض الأحيان من شكله الجماعي حيث يمكن أن يؤديه رجل أو امرأة ما مشهور أو مشهورة بالغناء، وذلك مثل: (السيدة يوسفي ، أو الشيخة الزهراء، وفاطمة بحوصي، أو الشيخة الضاوية الرباوية، أو الشيخ محمد البيضي، والشيخ سليمان، وغيرهم) بمنطقة البيض، كما أنّه صار فنا غنائيا بامتياز فصار يُؤدَّى بالمعازيف الحديثة كالسانتي، والآلات التقليدية كـ"الڤصبة" (الناي) وغيرهما. ويثير مفهوم "الڤول" جدلا بين المهتمين به في تصنيفه ضمن التعابير الشعبية؛ فهل هو شعر ملحون أم إنه

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

شكل آخر غير ما ذكر؟ فكلماته ليس قصائد كالشعر الملحون الطويل منه والقصير، والتي تكون فيها الأبيات موزونة ومقفّاة كحال الشعر الفصيح أو حتى بعض الشعر الشعبي التراثي الملحون( )، فهو عباره عن مقطوعة "ڤولية " قصيرة لبضع عبارات وكلمات حول موضوع معيّن ليس بها قافية ولا هي موزونة. و"الڤول" كأغلب فنون التعابير الشعبية لا يعرف له قائل محدد، مثل في ذلك مثل الألغاز والأحاجي والأقوال والأمثال وحتى الألعاب الشعبية، حيث تنتقل "المقطوعات "الڤولية " "بين أفراد المجتمع وتصبح ملكا للموروث الشعبي عامّة ولا يحق لأحد أن يختص بها دون غيره (عبد القادر خليفي ، 2004 ، ص 13-18) ،ولكن قد يحدث أن ينسب إلى مؤدّيها، فيقال "ڤول" فلان أو فلانة كـ"ڤول" الشيخة "الضاوية" مثلا

ويعد "الڤول" أكثر التعابير الشعبية الأخرى انتشارا، لأنه مرتبط بالغناء ويكثر تردده في المناسبات حيث نجد المقطوعة "الڤولية " تنتقل بين"الڤولين " في مناطق مختلفة فتحظى، بذلك، بالشيوع والذيوع، خاصة إذا كانت ذات مضامين مؤثّرة أو كان ""ڤوالها " "ذا صوت يشدّ إليه الأسماع.

**2- خصائص مقطوعات " الڤول: "**

يتميز " الڤول" بخصوصيات محددة، أهمها:

-من حيث الشكل الڤول ليس من الشعر الموزون المقفى ولا الشعر الملحون الشعبي

غير أن هذا لاينفي شاعريته على مستوى المعنى ، والجرس الموسيقي عند أدائه بالكيفية العرفية

-أنه يغنَّى من قبل النساء جماعيا في جلسة ذات شكل دائري بمصاحبة آلة الدف التقليدية (البَنْدير)، ولا يلقى إلقاءً كما هو معروف عن بقية الأشعار الشعبية الأخرى(. ينظر مثلا: ديوان الشاعر محمد بلخير، في قصيدته التي تنيف عن الـ70 بيتا، والمقفاة بقافية "الهاء أنا خديم الرحلة البيضا

-يغَنَّى أيضا أثناء رقصة الصف التي تنقسم فيها الراقصات إلى صفين متقابلين، يتحركان نحو بعضهما ثم يبتعدان مسايرة للحن ولضربات البندير الذي تحمله بعضهن

-هو شعر جماعي مجهول المؤلف لأنه كثيرا ما يتم ارتجاله أثناء جلسة الغناء. ولم يتم تذييل تلك المقطوعات بأسماء قائلاتها لسببين

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

–طبيعة العائلات المحافظة و النساء كبيرات السن يرددن أكثر من قائلة للمقطوعة الواحدة الأمر الذي يمنعنا من الجزم بتحديد صاحبة المقطوعة وقد قمنا بجمع بعض المقطوعات من هذا النوع الذي واكب الثورة التحريرية في عد ة مناطق من منطقة الأبيض سيد الشيخ كخطوة إفتتاحية لمشروع جمع هذا التراث المتناثر والمهدد بالزوال في منطقة عذراء أمام الفعل الثقافي( أنيسة بركات، 1995، ص 26 –31 )

**المبحث الثاني: مضامين مقطوعات** " القول " **بمنطقة الأبيض سيد الشيخ:**

1– **التعريف بشخصية عبد القادر بن محمد المعروف ب" سيد الشيخ " :**

ينحدر نسب العالم الجليل سيدي عبد القادر بن محمد بن سليمان بن ابي سماحة الملقب ب (سيدي الشيخ ) من نسل الصحابي الجليل عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق ( رضي الله عنه) ولد رحمه الله بنواحي اربوات و قيل بضواحي الشلالة موطن والده ولاية البيض سنة 940 هـ، فهو بدون منازع مؤسس الطريقة الشيخية ، عرف بعلمه وحلقات ذكره وجهاده المستميت في سبيل الله و الوطن والذي لم يتوقف على قلمه و لسانه بل تعداهما الى الجهاد الفعلي الميداني بسيفه في فترة احتلال الجيوش الاسبانية لشواطئ و مدن المغرب العربي بما فيها الجزائر استشهد سنة 1025هـ والتي خرج منها متاثرا بجروح اصيب بها ، لما تلاقى و تلاحم الجمعان العثماني و الإسباني، المحتل وقتذاك لمدينة (وهران),هذا الموقف الباسل مع العثمانيين و مواقف اخرى جليلة دينية ،دلت على ان الرجل كان (صوفيا) بالمدلول الإيجابي لهذه الصفة وقد عمر 85 عاماً وتوفي بالمكان المسمى بوعشيش – شرق قرية أستيتن الواقعة باقليم ولاية البيض و وري الثري بمدينة بالأبيض المنسوبة إليه ( الأبيض سيد الشيخ)

لقد أخذ سيد الشيخ علومه من مصادر عدة ذكر بعضها في قصيدته المشهورة "بالياقوت " ومن أبرزهم الشيخ الصوفي سيدي محمد بن عبد الرحمن السهلي الشاذلي ، اشتغل بالتربية و التدريس ، وأسس زاويته ب( فيقيق ) بالمغرب الأقصى ، و كان كثير

الترحال بزاويته المقصودة من قبل المريدين أينما اتجهت ، من أهم أثاره الأدبية قصيدة تائيت ، الموسومة ب ( الياقوت ) تتألف من 178 بيت وخلف سيد الشيخ

18 ولد توارثوا تنظيم موعد سنوي لإحياء ذكرى وفاة أبيهم مازال و إلى يوم الناس هذا ينظم كتقليد سنوي ، يبجل وزنه الصوفي ، يعرف عرفيا (بركب سيدي الشيخ ) ، و لك أن تتخيل – أخي القارئ

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

– الحشود الوافدة شطر ضريحه ، شعثاء غبراء ولكل منها ما نوى ، و لكل منهم و منهن شيء في صدره، إنه معاهدة النفس و الشيخ معا على الأوبة في الميعاد نفسهو المكان ذاته ، للترويح عن النفس و استذكار أعلام الطهارة والصفاء الذي ينعكس من خلال المقطوعات"الڤولية " للمريدين والتي تتجلى من خلالها الأبعاد العلائقية التي نحاول تحليتها والوقوف على البعض منها في بحثنا

(الشيخ قدور بن علية 2001ص من 23-27 )

**2المضامين العلائقية من خلال مقطوعات القول.:**

كما سبق وأن ذكرنا فإن التراث اللامادي بكل أشكاله يعكس مدى تمسك المجتمع الجزائري بدينه. حيث تعج القصائد الشعرية بذكر الطقوس الدينية من حج وصوم وصلاة، وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلّم.وما أكثر قصائد الملحون في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ومدح الأولياء الصالحين.

وأكثر ما تضمنته مقطوعات" الڤول " في منطقة الأبيض سيد الشيخ ذكر للأولياء الصالحين المعروفين بالمنطقة كعبد القادر بن محمد المعروف بسيدي الشيخ وسيدي معمر بالعالية وسيد الحاج بحوص ،وسيدي سليمان بوسماحة، وغيرهم كثير. أما المسائل الدينية الأخرى غير مدح الأولياء الصالحين فهي قليلة الورود، ومنها رحلة الحج أو التعبير عن الشوق لزيارة النبي صلى اللهعليه وسلم كما فعلت المريدة "يوسفي " في العديد من مقطوعاتها القولية أو الحاجة الضاوية في ذكر مناقب الصدقة والزكاة وغيرها من العيبادات ولعل الشوق إلى لقاء الشيخ أو حتى زيارته بعد الممات هي أكثر المقطوعات تظماً عند النساء والعجائز كونها الطريقة الوحيدة التي يتم من خلالها البوح بالمكنونات والهيام في العلاقات الروحية

**– 1-2مضامين "ڤولية " صوفية في مدح الأولياءالصالحين:**

من المقطوعات "الڤولية " التي تصب في خانة ذكر أولياء الله الصالحين مقطوعة "سيد الشيخ " التي جاء فيها: " أ سيد الشيخ ، النَّاسْ صَدَّتْ وَنَا رَانِي مْعَاكْ، حْمَدْ لْمَجْدُوبْ مْنِينْ ثْهُوضْ عْلِيَّا نَبْغِي نْزُورْ، حَبْسَتْ كِيرَانَهْ وْلْوَاطَا رَاهُمْ مْتَّابْعِينْ، نْعْطِيكْ العَاهَدْ لْيَا تَلَمَّدْ شَمْلِي رَانِي نْجِيكْ، أ سيد الشيخ نَاسْ صَدَّتْ وَنَا رَانِي مْعَاكْ، حْمَدْ لْمَجْدُوبْ مْنِينْ ثْهُوضْ عْلِيَّا نَبْغِي نْزُورْ حَبْسَتْ كِيرَانَهْ وْلْوَاطَا رَاهُمْ مْتَّابْعِينْ، نْعْطِيكْ العَاهَدْ لْيَا تَلَمَّدْ شَمْلِي رَانِي نْجِيكْ."

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

ففي المقطوعة السابقة تعبر "الڤوالة" عن شوقها لزيارة ضريح الولي صالح "سيد الشيخ " المتواجد في بلدة الأبيض ، فقد هاجت مشاعر الشوق والحنين لهذه الزيارة كما أنها تتعهد بنذر بزيارته إذا قام بتحقيق حاجتها وهي أن يلتئم شملها المشتت، وهي عادة المجتمع في أنه يعتقد أن كرامة الأولياء الصالحين يمكنها أن تعمل على قضاء حوائجهم وهي عقيدة فاسدة تخالف عقيدة التوكل على الله تعالى في كل شيء.

وتبالغ بعض"الڤوالات" في وصف كرامات ألأولياء الصالحين وتجعل لهم قوى خارقة،والمقطوعةالتاليةتجسّد ذلك وهي بعنوان:"ما دار البودالي في العديان ( يرجح أن المقصود به هو سيد الشيخ ) جاء فيها:"مَا دَارْ الْبُودَالِي فَالْعَدْيَانْ امْنَيْنْ حَسْدْتَهْ صَيْفَطْ لَهْ رَوْحَانِي ولاَّ لَهْ ثعْبَانْ صِيفْتَهْ كَتَّفْ لَهْ إِيدَيْهْ أو طَلْعَهْ حَتَّى الْرَقْبْتَهْ طَرْطَقْ لَه عَيْنَيْه كَانْ الْفُمْ اصْحِيحْ بَكْشَهْ هَذا مُولاَيْ اشْرِيفْ قَيْرْ اشْتَيْتْ النَّاسْ زَارْتَهْ كَيْرْدْلَهْ أو صِيفْ بَعْدْ مَا بَانُو اخْصَايْلَهْ يَوْمْ لَخْمِيسْ أوْ جَانِي فَرْحَتْ بيهْ أوطَانِي صَبْحَتْ لِي لَضْرَارْ شَافْيَه مَنْ وَحْشْ الْبُودَالي لُومُونِي مَا نِيشْ طَايْقَهْوَمْحَلْ السُّلْطَانْ رَاهْ الْبُودَالِي امْعَمْرَهْ يُوجَبْ لَلزِيَّارْ وَ سْكَنْ قُبَّةْ "فَاسْ " عَجْبْتَهْ."

وعادة ما يرتبط التصوف بمسألة الدروشة، وهي تعني بعض الطقوس التي تصاحب زيارة محبي الولي الصالح لضريحة كالمشي حافي القدمين وترديد بعض العبارات المعبرة عن الخضوع والاستلام للولي الصالح، ونشر البخور في أرجاء الزاوية وفي فناء الضريح والقبة، وهذا ما يتجسد في مقطوعة "ڤولية " بعنوان:"وِينْ ڤَطَّاعْ لْڤُوْرْ" جاء فيه:"يَا امْحَمَّدْ رَآآنِي فَارْحَآ، وِينْ ڤَطَّاعْ لْڤُوْرْ يْخَرَّجْ لْعْجَبْ، يَا امْحَمَّدْ رَآآنِي فَارْحَآ، خَلْوْتَهْ تَرْفَدْ ڤَطَّاعْ البَرّْ وْلْبْحَرْ، يَا امْحَمَّدْ رَآآنِي فَارْحَآ، عَوْدْتَهْ مْسْقِيَة وْلَّا مْرَوْحْنَة، يَا امْحَمَّدْ رَآآنِي فَارْحَآ، حَجّْ حَجَّة وَسَبْعْ حَجَّاتْ لَّنْبِي، يَا امْحَمَّدْ رآآنِي فَارْحَآ، خَالْتَهْ حُورِيَّة تَطْحَنْ فْرْحَى، يَا امْحَمَّدْ رَآآنِي فَارْحَآ، رَافَدْ لْبَحَّارَة يَتْمَشَّى بَلْحْفَى،يَا امْحَمَّدْ رَآآنِي فَارْحَآ، رَافَدْ لْبَحَّارَة يَتْمَشَّى بَلْحْفَى."

ففي المقطوعة السابقة تعبر الڤوالة عن مدحها للولي الصالح سيدي عبد القادر بن محمد كماأنهاتشيرإلى بعض مظاهرالدروشة،كمشية الدرويش إلى زيارةالولي الصالح حافي القدمين وهو يحمل البخارة.

وقد تتضمن بعض المقطوعات "الڤوالية " تصف فيها القوالةرحلة الزيارة لضريح الولي الصالح،مماتراه في طريقهاكوصف الشجر والوديان حيث تقول : "يَا رَانَا جَايِينْ وَالنَّوْبَى رَاهَا فِيكْآآ".والتي جاء فيها: "يَا رَانَا جَايِينْ وَالنَّوْبَى رَاهَا فِيكْآآ يَا عَنْدَكْ لَا تْخِيبْ

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

ظَنّي، يَا رَانَا جَايِينْ وْالنَّخْلَة قِيرْ طْرِيقْ نَاوْشْرَبْنَا لَاتَايْ فَمَّا، قْـَالوا سِيدِي بْعِيدْ عَنّي مَا هُوشْ بْعِيدآآ لَا نَجِّي نْشُوفْ شَوْفَا، وَانَا رَانِي قْدَيْتْ (غدوت) شْتْ الـقْبَّة مَا فِيهَا، شْجُورْ مْحَدْرَا فِيهَا، وْلْحَمْلَا شافْـقْ وْحْمِيدَا لْمَجْدُوبْ آآ مْزِينْهَا زَوْرَة هْنَايَا، وْيلَا شْفْتُو الكَارْ قْـُولُو زْيَارَة جَاتْ آآ، وْلَادَهْ كُلْ عَامْ عَنْدَهْ، وَانَا رَانِي قَادِيَة (غادية) تْبْقَاوْ عْلَى خَيْرْ آآ وْنْشَاللهْ كُلْ عَامْ نَرْجَعْ، وْرَّكْبْ الّي رَاهْ قَرَّبْ (بمعنى غَرَّبَ) رَانِي فِيهْ آآ سِيدِي بُوجْمْعَةاطْلَـقْ سْرَاحِي يَا رَانَا جَايِينْ وَالنَّوْبَى رَاهَا فِيكْآآ يَا عَنْدَكْ لَا تْخِيبْ ظَنّي". ( د. بوشيبة عبد القادر ، 2018 ص 19 – 21 )

ففي المقطوعة السابقة تقول الـقْوالة أن الكرّة هذه السنة كانت لزيارة ضريح سيدي بوجمعة، كما أنها ترجو ألا يخيّب الولي الصالح ظنها في قضاء حاجتها. وقد وصفت كثيرا من الأشياء في طريقها وما حدث أثناء الرحلة ووصف القبة وشكلها ولونها.

كما أنّه من بين القضايا التي تربط بالتصوف مسألة "الرؤية" التي يراها " الـقْوال "في منامه،حيث يزوره فيها أحدالأولياءالصالحين ويأمره فيهابزيارته،وماعلى هذاالشخص إلايحقق ماجاءفي الرؤية،وفي المقطوعةالتالية مايجسدهذه القضية، وهي بعنوان: "نْتَ رَبّي عْطَاكْ سَطْوَة جِيلَالِي سَلَّاكْ لْمَقْبُونْ". وقد جاء فيها: "نْتَا رَبّي عْطَاكْ سَطْوَة جِيلَالِي سَلَّاكْ لْمَقْبُونْ آآ، مْعَ بْيَانْ لْحَال كُنْتْ نْحْلَمْ وَنَا شِيخِي قْـَالِ لي مَا تَبْطَاشْ آآ، نْتَا رَبّي عْطَاكْ سَطْوَة جِيلَالِي سَلَّاكْ لْمَقْبُونْ آآ، مْعَ بْيَانْ لْحَال كُنْتْ نْحْلَمْ ظَنَّيْتَهْ ذَاكْ بُوشْنَافَة عَلَّالْ آآ، نْتَا رَبّي عْطَاكْ سَطْوَة جِيلَالِي سَلَّاكْ لْمَقْبُونْ آآ، بْكِي عْلَى نَارِي يَا دْبَاقِي وْسِي زَيَّانْ مَا يْكُودَهْشْ لْحَالْ آآ، نْتَا رَبّي عْطَاكْ سَطْوَة جِيلَالِي سَلَّاكْ لْمَغْبُونْ آآ، عْطِي دَوْرَ مْعَ لْمْجَدَّدْ كِي تَنْفَحْلِي عْلِيهْ زَيْنْ اجَدْبَاتْ آآ، نْتَا رَبّي عْطَاكْ سَطْوَة جِيلَالِي سَلَّاكْ لْمَقْبُونْ آآ، مْعَ بْيَانْ لْحَال كُنْتْ نْحْلَمْ وَنَا شِيخِي قْـَالِ مَا تَبْطَاشْ آآ، نْتَا رَبّي عْطَاكْ سَطْوَة جِيلَالِي سَلَّاكْ لْمَقْبُونْ آآ، مْعَ بْيَانْ لْحَالْ يَا حْبَابِي دِيرُو اتَّاوِيلْ يَاللهْ نَقْدُو لَيْهْ آآ، الله الله يَا حْبَابِي دِيرُو اتَّاوِيلْ يَاللهْ نَقْدو (نغدو) لَيْهْ آآ، نْتَا رَبّي عْطَاكْ سَطْوَة جِيلَالِي سَلَّاكْ لْمَقْبُونْ المغبون) آآ، لِي عَنْدَهْ شِيخْ رَاهْ يْقِيتَهْ (يغيثه) وَانَا لْقِيتْلَكَ يَا جَلُّولْ آآ، نْتَا رَبّي عْطَاكْ سَطْوَة جِيلَالِي سَلَّاكْ لْمَقْبُونْ آآ، سِي زَيَّانْ رَاهْ لَيْنَا وْسِي زَيَّانْ مَا يْكُودَهْشْ لْحَالْ آآ، ظَنَّيْتَهْ قْـَاعْ رَاهْ نَاسِي وْسِي زَيَّانْ مَا يْكُودَهْشْ لْحَالْ آآ، نْتَا رَبّي عْطَاكْ سَطْوَة جِيلَالِي سَلَّاكْ لْمَقْبُونْ آآ، مْعَ بْيَانْ لْحَال

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

كُنْتْ نْحْلَمْ وَنَا شِيخِي قْـَالِي مَا تَبْطَاشْ آآ، نْتَا رَبِّي عْطَاكْ سَطْوَة جِيلَالِي سَلَّاكْ لْمَقْبُونْ آآ."

لقد زار الولي الصالح عبد القادر هذا " القْوال "في منامه وأمره ألا يتأخر في زيارته، وقد اعتقد القْوال بداية أنه ولي آخر يدعى "بوشنافة علال"، كما أنه يردد الاعتقاد السائد في أن للولي الصالح يتمتع بالقوة والسطوة فهو يغيث كل مغبون، وهو يدعو أحبابه لصحبته في هذه الزيارة.

وقد لا تخلو مقطوعة قولية من ذكر الولي الصالح "عبد القادر بن محمد " فهو قطب الأولياء وأكثرهم كرامات، وله ألقاب كثرة عرف بها في مقطوعات القول منها: الأعرج، وجلول، وهو يذكر مقترنا مع ولي صالح من أولياء المنطقة، كما هو وارد في المقطوعة الآتية المعنونة بـ: "بَنْ عَامَرْ يَا لْحَاجْ سِيدِي"، وقد جاء فيها:"بَنْعَامَر يَالْحَاجْ سِيدِي، لَاهْ لِي لِيكْ يَنْقْبَنْ، سَلَّمْ بْنْ عَآآمْرْ لْفْحَلْ فِي وِيدَانَهْ رَاهْ هَانِي، بْقْتَكْ تْجِينِي نْتَا وْلَعْرَجْ جَلُّولْ مَسْكْ لْعْجَبْ، بْقَيْتَكْ تْبَرَّمْ عْلَى عْدُويَا تْبْلِيهْ بْسُوسَةْ لْعْظَمْ، وَنَا سِيدِي نْدِيرْ لَهْ وَعْدَة بْلْقْوَايْطْ وْطْبَلْ، سِيدْ لْحَاجْ جْدْنَا فْلْعِدْيَـانْ يْخَرَّجْ لْعْجَبْ، بَنْعَامَرْيَالْحَاجْسِيدِي، لَاهْ لِي لِيكْ يَنْقْبَنْ."

لا تنفك " القْوالة " في المقطوعة السابقة عن الإشادة بالولي الصالح الذي تحبه وتزوره، وتعتقد فيه القوة والسطوة، وهي تنذر له بزيارتها له وأن تنجز ذلك مع الوعدة والطبل والعزف بالغايطة، ولكنها تطلب منه أن يهلك عدوها في مقابل ذلك. وتدعوه هذا الولي لزيارتها في المنام بمعية الولي الصالح المشهور سيدي عبد القادر بن محمد.

2-2 **نموذج للعلاقة الممتدة إلى رمزية المكان** : من خلال مثال لمقطوعة قولية بعنوان " زين لقباب "

يا توالي راه هاض عليا ترين لقباب ، يا توالي أصبح رحل البيضة يقي لفقير يا توالي إيبوا فالياقوته قائمين ،يا توالي مع الغيره الحره واقفين، يا توالي في انهار الجمعه خالق أزهير ييا توالي كل مجدوب غلى شيخه ايتوب

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

**3-2النسق العلائقي بمرافقة المريدين : من خلال مثال لمقطوعة "ذاك شيخه : "**

ياهوالي بابه قربي أثژور منه لركاب ، واش درت لك حتى أجا فيني واش راه امنويك ، جبت لك مولانا الصالحين ورجال أتوات ، جبت لك بن عبد الرحمان داك شيخك تبقية أولاده فالفرعة بانيين للي مقبون زيار سيدي من گل بلاد جايا للسطان ( الشيخ قدور بن علية ، نفس المرجع السابق ص 26- 30)

**3-3تمثلات في التواصل:**

- مقطوعة الحمام إبن النيلية

أدي عنواني يالحر بن النيليه اليوم ،أثيرية أخباري في انهار الجمعه قبل ا زوال ،راني عطشانه ابقيت نروي من حوضك يالشيخ ،راني فرحانه أمنين شافت عيني ذوك أطيور ،حبه مولانا أو زاد له فالدرجات العاليين

- مقطوعة سلطان الواسطة :

فالليلي فوثوة لينا سلطان الواسطة الشيخ بن الدين ،والفقه واسعه اثقه فيها مير أنجوع شيخ العربان ،قاع اللي قندوز مايفوتش قال الليله أبائنا قالوور ،راهم يتلفتوا اصحاب الئيه قالوا أمامها درفناه ،عند الخلات حبوها ولواطا حابا أو لركاب اثرور ،أنديز علفه أبعلفه وافواط زاهيه أو بارود أجديد ،في كل ابد از خلوه واثاره ضاويه على اللي يبقية ،أهل القعدان و ارواحل والخيام أمريشه أو تاريخ أمليح ،واللي قبوا من بلاد أواوا والباب للمونين ،الخول واباه ما يفوتوا و طيور إيحوموا على خرب الواد ،شهدا فوثوها لبطال اللي على أوطها بنات Exploration - des Ksours et du Sahara de la province d'Oran ( Capitaine de Colomb, commandant du cercle de Géryville p 89- 92)

**تحليل النتائج :**

إن محاولة تحليل دلالات العلاقة بين المريد وشيخه من خلال المقطوعات الثوالية ،نجد آثار ها ممتدة إلى عمق الطفولة من جهة وما غرس بها من مسامع تلقاها المريد وهو يتنقل وسط بيئته الإجتماعية ولإستجلاء بعض المعاني المتقاطعة يمكن ×تيار ثلاث مقطوعات كونها تدخل في زمرة النموذج الجامع

**وقفة أولى : مقطوعة (زين لقباب)** التي تقول إحدى الثوالات فيها

ياثهوالي، هكذا تستهل هذه الوطى مقطوعتها ، بهذه اللازمة ، شاكية كل ما اعتراها و كأنها آخذة بمبضع تشريح لكل ما يعتمل في قرارتها و بدون تريث ولا حتى توطئة ، تبادر إلى التصريح بأن (زين القباب ) ، الذي هو بالطبع مالك أقطار نفسها (سيدي الشيخ) ، قد ( هاض عليها ) ، خطر ببالها على حين غرة

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

من أمرها ، هز كيانها جميعه ، فلم تلبث أن تذكر ببعض سجاياه ، و ما يأتيه مريدوه من سلوكات في محيط و جنبات ضريحه ( إنه في كنهها يغني الفقير المعلم ، و أنه صاحب الناقة البيضاء ( رحل البيضة ) المرتحلة به أني شاء ، و أن قريضة الصوفي ، لا يفتأ يستظهره صبيحة كل يوم جمعة المريدون و الأتباع ، وعند الغروب بجلسة روحية تعرف ب( الحضره )، ذاك الجمع الملتئم داخل الضريح لترديد الأدعية والأوراد. كل ذلك ، تصفه هذه السيدة بالجلبة الحادثة بالداخل ، نتيجة تعالي الأصوات الداعية و الدافعة بكل متعلق بمناقب شيخه هذا ، لأن يعبر عن مدى ذوبانه إنصهاره في ذات هذا الولي ، بتلك التمايلات المنسجمة مع ( الريتم ) الإيقاعي للحن تلك الأوراد و هاتيك الأدعية المتواترة زمنا عن زمن.

يمكن اعتبار المقطوعة ومضة واحدة ، شحنة نفسية غير شاردة ، بل كتلة من الشوق العاكس لمدى الهيام فالأمر سيان لدى هذه الأخيرة ، إن كانت قريبة أو على بعد أميال من مكان تواجد محبوبها ، معقل الفؤاد دفين الضريح( سيدي عبد القادر بن محمد )

**وقفة ثانية : مقطوعة ( يا هوالي بابه قربي)**

ها قد كاد يضيع من قدمي هذه السيدة ، درب الرزانة الواجبة ، فلم تجد وعاء استهلاليا !يسع ما تتجشمه من تباريح ، غير عبارة ( يا هوالي )

إنها عبارة بدت في إدراكها عاكسة للتصوير الأمثل لعظمة الأمر ، للزلزال الذي يميد أرضية أحاسيسها ، و هي ترمق بأم العين تدافع المريدين على باب الضريح ، الواقع إلى جهة الغرب ( بابة قربي أتزور منه لركاب ) ، لتستدرك و كأنها جرحت سيئة تستدعي استجداء المغفرة ( واش درت لك حتى اتجافيني ؟) ، ما الزلة ؟ ما الكبوة ؟ ما الذي اقترفت في جنبك ( يا سيدي الشيخ ) ، لتصد عني ؟ لتهجرني ؟ التحرمني من الاستئناس بك ؟ ( واش راه أمنويك ؟ ) ، ماهي دوافع غضبك مني لتواصل و هي في حالة حسرة بينة ، إنني لا مناص لي إذن ، من الركون و التشبث بعرش الرحمن و صلاح ذوي الصلاح من الأنام و الرجالات ممن تعرف من آل ( إقليم توات الصالحين ) ، ألتمس من كافتهم شفاعة لديك !! هكذا تفوه شعورها !!؟ ولما كانت عليمة بأن المرحوم ، سيدي محمد بن عبد الرحمن السهلي الشاذلي ، هو المربي الفعلي المعقل ذهنها ، إرتأت هي الأخرى – و كأن سيدي الشيخ مائل حيالها جسدا وروحا – أن تتوسل إليه بشيخه ( ذاك شيخك تبقية ) ، كي يصفح عنها لكونها مدركة تمام الإدراك ، أن التلميذ لا

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

ينبغي له أن يشق عصا طاعة الشيخ ، الذي يهوى. لم تنسها لحظات التزلف تلك ، أن تعيد إلى أذهان الصاغين ، أن لسيدي الشيخ عقبا أبناء) ، ماثلة أضرحتهم في محيطه ( في الفرعه ) هم على خطى والدهم ( أولاده فالفرعه بانيين للي مقبون ) لتقر – و هي واثقة مما تقول — أن كل ما يتراءى لها من زائرين ، إنما هم طلاب غاية واحدة ألا و هي المقابلة الروحية لسلطان زمانه و الأزمنة اللاحقة و المنطقة ، الذي هو بلا منازع ، شيخ الطريقة سيدي الشيخ (الأستاذ بودواية بلحيا، 1992 ص 41- 47 )

**وقفة ثالثة : مقطوعة ( أدي عنواني )**

مبلغ الظن أن هذه المرأة – المكتنزة شوقا – سيدة مقعدة عن الحركة ، بفعل تأكل عمرها ، أو ألمت بها ضراء ما ، فلم يكن بمقدورها السعي راجلة أو مقلة لوسيلة ، كي تحل ب ( الأبيض سيدي الشيخ ) ، مثوى الذاهب بلبها ( سيدي الشيخ ) ، غير أنها تذكرت المهمة النبيلة للحمام الزاجل المتمثلة في نقل البريد ، بريد من أضحي التنائي بديلا من تدانيهم ، و أن نتخيلها في هذا المشهد ، قد رمقت ذكر هذا النوع من الطيور وهو يحلق غير بعيد عنها ، فارتأت أن تستعطفه و تحمله شحنة عواطفها ، ليتابطها وليعبر بها تلك المسافة ، على جناح السرعة!!

(أدي عنواني يا لحر بن النيليه ) و اذهب – يا رسولي – إلى حيث ضريح سيدي الشيخ و هنالك أنبي جميع من تصادف ، من مرددي قصيدة ( الياقوت ) داخل الضريح ، يوم الجمعة قبل الزوال ، كعادتهم أنبئهم بأنني متعطشة لمرأى الضريح ، راغبة في الارتواء من حوضه ( مما يردده المريدون عنه من عذب الكلام والذه إنها في سعادة عارمة ، لما وقع نظرها على تلك الفصيلة من

الطيور (!) لتؤكد أن هذا الولي قد اصطفاه الخالق في من اصطفى ، و خصه بالدرجات العليا ، لتعود بعد ذلك مذكرة ذكر الحمام حاثة إياه على حتمية استئناف الرحلة ، اعتبارا من يوم ( الأربعاء ) ، ليحل بالمكان المقصود ، صبيحة ( الخميس ) ، و هنا تجدر الإشارة إلى المحتمل جدا ، أن تكون مناسبة هذه المقطوعة ، هي موسم التقليد السنوي ( وعدة ركب سيدي الشيخ) ، الذي ألفه الناس مبتدئا بيوم

( الخميس )، منتهيا بيوم ( الإثنين) بعد المغرب ، بما يسمى ( العادة ) التي يحضرها مقدمو الزاوية و جمع غفير من الزوار بزاوية نجل سيدي الشيخ ، الولي سيدي الحاج بوحفص وارث مقاليد الزاوية.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

**خـــاتمة:**

بصرف النظر عن كون تلك المقطوعات ليست شكلياً من الشعر المقفى في شئ، ولاهي من الشعر الملحون ( الشعبي ) ذات صلة ، لكونه هوالآخر ، ذا أوزان وقواف متعارف عليها ، متداولة لدى ناظميه و مرديه و المتغنين به ، فإن ذلك لا ينفي شاعريته على مستوى المعنى ، والجرس الموسقي المنبعث من ألفاظه و عباراته، عند أدائه بالكيفية العرفية فكأنما تفعيلاته وقوافيه ،كامنة في بردة اللحن التي تخلع عليه وحركات النسوة المتزنة في رقصة الصف ( المعتادة في البعض منه )، التي لا يسمح بمشاهدتها الأصل إلا لجنسهن و الأطفال ، وقد يحدث الإستثناء في حدود ضيقة جدا، لحاجة إعلامية ، ألح عليها التطور العصري ، وشاءها نافذة على التاريخ فلولا علمي اليقيني بضيق الأفق المعرفي لهؤلاء النسوة ، في الفن الشعري العامي – اعني بالطبع هو الكابح ساصطلح عليه بالملحون – لسارعت إلى السليم ، بأن حياءهن المتناهي من شيخ الطريقة هو الكابح لشاعريتهن الحقة ، و عليه ، يمكن اعتبارهن جوازا – متمثلات بما أقر به الشيخ نفسه عن نفسه يقول في البيتين 164 و 165 من قصيدته ( الياقوت:(

ولست بذي نحو ولا عروض لما  پرومة من قريضنا ذو الدراية

فعذرا لمن رام انتقاد ظاهرنا  فلم نعد عن أوصافنا البشرية

ومما قد يدفع إلى ضرورة إستجماع هذا الموروث الشفهي وإخراجه من دائرة النسيان بالدرجة الأولى إغفال الناشئات لهذا الموروث واعتباره تقبيل الكلام البدائي ، غير الحامل المضامين ذات فائدة وتطور أجهزة الإعلام السمعية البصرية بما فيها الهوائيات المقعرة التي ضربت في عمق إحساس المرأة المحلية ، فهي تكاد تحاصر فكرها من كافة الجهات ، فجعلتها أسيرة أحلام صعبة المنال ، في ظل الأمية السائدة وإتعدام الحصانة الفكرية

إن عدم إحاطة ( القوالات ) علما بالفكر الصوفي وآثاره وقصيدة ( الياقوت ) محطة من محطاته ، يشعر المتلقي بأن المرأة من خلال هذه الآثار الشفهية لا متلك النظرة الثاقبة للحقيقة الصوفية ، الأمر الذي جعلها بين أمواج الشعوذة المتلاطمة ، وإن نظرة منها إلى مرآة ( سيدي الشيخ ) ياقوتته ،كفيلة بجعلها تتأكد من أنها أمام شخصية صوفية بريئة من كل ما علق بها من أساطير ، إنها قصيدة جديرة بالتنقيب

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

عن لغتها و مرجانها ، بعد إجادة القفز على رمزيتها الموغلة في الروحانية الحقة ، فالإكتفاء بحفظها استظهارها ظاهرة منقصة لقدرها وباخسة لمتقالها قيقي في ميزان الدراية

وسميتها الياقوت رقعا لقدر ما تسلسل فيها من أشياخ عديدة

معرفة لشأنهم وطريقتهم وأسمائهم ذوي الأحوال الشريفة

وهكذا نجد أنفسنا في حاجة إلى البحث في مجالات الهيام الصوفي ، الماكث منه والعابر لإستخراج تجلسات الفطرة السليمة في التعلق بالعبادة والتضرع إلى الله وتطوير الأداء الأنثربولوجي في مجال دراسة الأديان عبر مختلف الأماكن والأزمنة .

**قائمة المراجع:**


1- باللغة العربية :

1- أنيسة بركات(1995)، محاضرات ودراسات تاريخية وأدبية حول الجزائر، منشوات المتحف الوطني للمجاهد ، الجزائر

2- بودواية بلحيا( 1992) ، الياقوتة : دار النشر للغرب والتوزيع

3- بوشيبة عبد القادر (2018)، القول بمنطقة البيض ، مداخلة في ملتقى القول ورقصة الصف دار الثقافة محمد بلخير البيض نوفمبر

4- الشيخ قدور بن علية (2001)، وقال نسوة في المدينة دار الغرب للنشر والتوزيع

5- خليفي عبد القادر ,(2004) « القوّل، المرأة والثورة التحريرية » ، مجلة إنسانيات

2- قائمة المراجع باللغة الأجنبية :

1- Capitaine de Colomb, commandant du cercle de Géryville

2- Exploration - des Ksours et du Sahara de la province d'Oran(1982)